الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهرَ المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهَرون حينئذٍ معهُ في المجد* فأميتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنّهُ لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتُم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أمَّا الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ معَ أعمالِه* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقِه* حيثُ ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بَربريٌّ ولا

النبي دانيال

تعيّد كنيستنا المُقَدَّسة في السابع عشر من كانون الأوّل للنبيّ دانيال، الذي يعني اسمه «الله قاضيَّ»، ومعه رفاقه الفتية الثلاثة القدّيسون حَنَانيا وميشائيل وعَزَريا. النبيّ دانيال هو صاحب السِّفر الرابع في مجموعة الأنبياء الكبار بعد إشعياء وإرمياء وحزقيال. هو أحد أمراء إسرائيل الذين سباهم نبوخذنَصّر إلى بابل بعدما استولى على أورشليم «في السنة الثالثة من مُلك يهوياقيم ملك يهوذا» (دا ١: ١) أي حوالي السنة ٥٩٧ ق.م.

نقرأ في مطلع السِّفر أنّ حاشية البلاط الملكيّ اختارت دانيال من ضمن مجموعة فتيان من «نسل المُلك ومن الشرفاء، فتيانًا لا عيب فيهم، حِسان المنظر، حاذقين في كلّ حكمة وعارفين معرفة وذوي فهم بالعِلم، والذين فيهم قوّة على الوقوف في قصر الملك» (دا ١: ٣–٤). نقرأ في الموضع نفسه أيضًا أنّ الله أعطى دانيال ورفاقه «معرفة وعقلاً في كلّ كتابة وحكمة، وكان دانيال فهيمًا بكلّ الرؤى والأحلام» (١: ١٧). لا يُصَنَّف دانيال نبيًّا في اليهوديّة، بحسب تصنيفهم الخاصّ، لكنّ تقاليدهم الدينيّة ترى فيه أبرز شخصيّات جلاء بابل وأسماهُم من حيث التقوى وأعمال الصلاح، وأشدّهم إلتزامًا بالشريعة الإلهيّة رغم كلّ الأعداء الذين أحاطوا به طالبين هلاكه. المسلمون يكرّمونه كنبيّ وصفيّ لله، كما يكرّمه أتباع المذهب البهائيّ (في إيران)، ربّما لأنّ قبره موجود بحسب التقليد في مدينة «سوسا» (شوشه دانايل) جنوب إيران.

أدبيًّا، يجمع سفر دانيال بين أسلوبَي الرواية التربويّة، والأدب الرؤيويّ. الرواية هي القصّة المُراد منها إيصال عبرة وترسيخها في ذهن القارئ. نرى الجانب الروائيّ في سفر دانيال يشدّد على الأمانة لله الواحد وشرائعه لا سيّما أنّ الإسرائيليّين كانوا آنذاك مسبيّين عن أرض أجدادهم ومدينة إلههم، كما كانت الحضارات الوثنيّة المحيطة تكاد تؤثر على عاداتهم وحضارتهم. أمّا الأدب الرؤيويّ، فتبدأ مواضيعه الرئيسة منذ الإصحاح الأوّل كحلمَي نبوخذنَصّر اللّذَين فسَّرَهما دانيال (٢: ٢٥–٤٧ و٤: ١–٢٧)، وتفسير الكتابة التي ظهرت على

العدد ٥١ / ٢٠١٧

الأحد ١٧ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار النبي دانيال والفتية الثلاثة

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر السادس

حائط قصر الملك بيلشاصّر، «بأصابع يد إنسان»، بينما كان يشرب الخمر مع ضيوفه وزوجاته في آنية الذهب التي أُخرِجَت من هيكل الله في أورشليم (٥: ١–٢٨). الغاية من هذا الاستعمال الكثيف للرؤى والأحلام هي استعارة أدب العرافة الذي كان مرغوبًا جدًّا بين الوثنيّين آنذاك وهي مزدوجة: إستغلال ما كان لأدب العرافة من هيبة ومصداقية آنذاك لتمرير الكلمة الإلهيّة كما إظهار عقم العرافة والتنجيم من خلال عجزهما عن تفسير الأحلام والرؤى، مقابل الحكمة والمعرفة اللّتين يضعهما الله في عبيده (كما في حال دانيال).

أمّا على المستوى التربويّ، فتتوزّع مواضيع سفر دانيال على ثلاثة محاور أساسيّة. في مسائل الإيمان والحياة الدينيّة، لا شكّ في أنّ السفر كان يتعامل مع إشكاليّات زمانه. لكنّنا، في الوقت عينه، نراه عابرًا للأزمنة والحضارات في جوهره. الوثنيّات التي كانت تطغى على الشعب آنذاك (٥: ٤)، تتمثَّل هي نفسها في قوانين الدنيا وشرائعها التي تُبعد الناس عن الله في زماننا الحاضر، فينصاعون لها تمامًا. كان الناس آنذاك يعبدون التماثيل (٣: ١)، كما كان الملوك في زمان دانيال ينتحلون صفات الألوهة ويفرضون على الناس أن ينصاعوا لهم وكأنّهم يعبدون إلهًا. كانت تحيط بهم حاشية تتزلّف لهم وتشحن كبرياءهم لتكسب ودّهم (٦: ٦–٨). لكن، إزاء هذه الآفات كلّها، بقي المؤمنون يجاهرون، بصوت دانيال، بإيمانهم بالإله الواحد وبالتزامهم شرائعه، وبعظمة هذا الإيمان الذي يستحقّ الإستماتة في الدفاع عنه (دا ٣ و٥). أيضًا، على ذوي السلطان خصوصًا الإعتراف بسيادة الله المطلقة على الزمن والتاريخ، وعلى كلّ قدرة وسلطة، وعلى كلّ حكمة ومعرفة (دا ٢ و٤ و٥). وبما أنّ حياة المؤمنين العمليّة كانت تنظّمها الشريعة الموحى بها من الله، يتشدّد سفر دانيال في ما يختصّ بأحكام الشريعة لسببين: حماية الشعب وثقافته الدينيّة من خطر التراخي وطغيان الثقافات الوثنيّة، بسبب ظروف الجلاء، والسعي لإعلاء الحقّ الإلهيّ حتى في أرض السبي والغربة.

يعرض لنا سفر دانيال، في مسألة حضور الله في التاريخ، وتحقيق تدبيره السرّي من خلال التاريخ أيضًا، حقبات من تاريخ الشرق الأدنى تعاقبت فيها إمبراطوريّات وتصارعت، وأدّى تصارعها إلى سحق شعب الله؛ وكأنّ تاريخ البشريّة صار موضع التجاذب والصراع بين قوى الخير (الله الواحد ووصاياه) والحركة المناوئة لله وشرائعه، المرموز إليها في السِّفر بالإمبراطوريّات الوثنيّة (١٠: ١٣، ١٠: ٢٠، ١١: ١). يسير التاريخ، بهذا التراكم، إلى دينونة أخيرة (٢: ٤٤) يشير إليها الكتاب بعدّة مشاهد مثل مقتل بيلشاصّر (٥: ٢٥–٣٠) وموت التنين الهائل (٧: ١١) والقضاء على المُخَرِّب (٩: ٢٧) أي الملك الذي عَظَّم نفسه فصار «يتكلّم بأمور عجيبة على إله الآلهة» (١١: ٣٦–٤٥).

هنا يأتي المحور الأخير الذي هو رسالة رجاء. الدينونة الإلهيّة الرهيبة التي ستنزل لا على الشعوب الوثنيّة المتكبّرة وحسب، بل على اليهود الذين تركوا أمانتهم أيضًا، ليست إلا محطّة حاسمة في مسار ظهور التدبير الإلهيّ وانتشاره. لم تُغلق الدينونة آفاق الرجاء التي تُمَثِّلها مواعيد الأنبياء، الحاضرة إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بلِ المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

الإنجيل

(لوقا ١٤: ١٦–٢٤)

قال الربُّ هذا المثَل. إنسانٌ صنع عشاءً عظيماً ودعا كثيرين* فأرسل عبدَهُ في ساعة العشاءِ يقول للمدعوّين تعالوا فإنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعِدَّ* فطفِق كلُّهم واحدٌ فواحدٌ يَستَعْفون. فقال لهُ الأولُ قد اشتريتُ حقلاً ولا بدَّ لي أن أخرجَ وأنظرَهُ فأسألُكَ أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد اشتريتُ خمسةَ فدادينِ بقرٍ وأنا ماضٍ لأُجرِّبَها فأسألُكَ أن تُعْفِيَني* وقال الآخرُ قد تزوَّجتُ امرأةً فلذلك لا أستطيعُ أن أجيءَ* فأتى العبدُ وأخبر سيِّدَهُ بذلك* فحينئذٍ غضِبَ ربُّ البيتِ وقال لعبدِه اخرُجْ سريعاً إلى شوارعِ المدينةِ وأزقَّتِها وأدخِلِ المساكينَ والجُدْعَ والعميانَ والعُرْجَ إلى ههنا* فقال العبدُ يا سيّدُ قد قُضِيَ ما أمرتَ به ويبقى أيضاً محلٌّ* فقال السيّدُ للعبد

أخرجْ إلى الطُّرقِ والأسْيجَةِ واضطَرِرهم إلى الدخولِ حتى يمتلئَ بيتي* فإنّي أقول لكم إنَّهُ لا يذوقُ عشائي أحدٌ من أولئكَ الرجال المدعوّين* لأنَّ المدعوّين كثيرون والمختارين قليلون.

تأمل

قال لي الراعي: «أحبب الحق، ولا ينطقنّ فمك إلاّ به ليرى الناس جميعاً حقيقة الروح الذي أسكنه الرب في جسدك، فيتمجّد الرب الذي يسكن فيك، لأن الرب حق في جميع اقواله وليس فيه كذب. إنّ المنافقين ينكرون الرب ويسلبونه، لأنهم لا يردّون إليه الوديعة التي عهد بها إليهم. لقد تلقّوا منه روحاً لا يكذب، فإن ردّوه إليه كاذباً فهم يخالفون وصية الرب ويسلبونه حقه».

لدى سماعي ذلك انفجرتُ بالبكاء. فلما رآني أبكي قال لي: «لماذا تبكي؟» فقلت: «لأني، يا سيدي، لا أعرف إن كان في وسعي أن أخلص». فقال: «لماذا؟». أجبتُ: «لأني في حياتي كلّها يا سيدي، لم أقل كلمة حق واحدة، بل كنت أسلك الآن أكثر من أيّ وقت مضى (دا ٩)، في الثقة والرجاء الظاهرين في صلاة النبي، رغم مرارة الخطيئة. كلّما تعمَّق وعي الخطيئة والإقرار بها، تعمَّقت التوبة واتَّسعت إزاءها آفاق الرجاء.

القدّيس الجديد يعقوب تساليكيس

أعلن مجمع كنيسة القسطنطينيّة المقدّس برئاسة البطريرك المسكونيّ برثلماوس في السابع والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٧ قداسة الأرشمندريت المتوحّد الشّيخ يعقوب تساليكيس الّذي لَمَع في النّصف الثّاني من القَرن العشرين لا كراهب ناسك وحسب بل أيضًا كَراعٍ وأب روحيّ عميق البصيرة مَرهَف الإلهام، على طيبة وبساطة كالأطفال كما يَشهَد كلّ من جلس إليه أو التقاه، ويقول معاصروه إنّه كان كالملاك لشدّة شفافيّة حضوره، وقد سمّاه القدّيس بورفيريوس الرّائيّ «مرآة للفضيلة والصّبر المقدَّس والتّواضع».

وُلد يعقوب في الخامس من تشرين الثّاني ١٩٢٠ لعائلة تقيّة فاضلة من «ماكري» السّاحليّة في آسيا الصّغرى. كان والده معماريًّا ذائع الصّيت لحرفيّته وأمانته، ما أمّن للأسرة بحبوحةً. كانت ثروة الوالدين الأهمّ تُقاهُما أمام الله وتمسّكهما بعَيش الفضيلة، فكانت المحبّة المُقَدَّسة تربط أفراد الأسرة ببعضهم وبكلّ من حَولَهم. أوائل سنة ١٩٢٢، حدث تهجير المسيحيّين من آسيا الصُّغرى، فاعتَقَل الأتراك الوالد وهُجِّرَت العائلة إلى اليونان. لم يكن يعقوب قد أتمَّ السّنتين من عمره بعد. تنقَّلت العائلة من مكان إلى آخر لثلاث سنوات من دون أن يعرفوا عن الوالد شيئًا، فظنّوا أنّه قضى في الإعتقال. خريف العام ١٩٢٥، وبينما كانت جدّة يعقوب لأبيه مارّة أمام ورشة بناء، سمعت صوتًا مألوفًا، فدخلت بين العمّال لترى أمامها ابنها، والد يعقوب الذي كان قد أطلق الأتراك سراحه منذ حوالي السنة ونفَوه إلى اليونان، وهو يبحث مذّاك عن عائلته، وقد بدأ ييأس.

إلتمّ شمل العائلة وانتقل الجميع إلى قريةٍ شمال جزيرة إيفيا. مُنِحوا هناك مُلكيَّة بنى عليها الوالد منزلاً للعائلة عاش فيه يعقوب حتّى انتقاله إلى الدّير. أثّر جَوّ التُّقى العائليّ في يعقوب. إستهوته الصّلوات والتّراتيل وقصص القدّيسين منذ كان في سنّ الخامسة. قبل أن يذهب إلى المدرسة حَفظ معظم القدّاس الإلهيّ عن ظهر قلب. أمران كانا الأحبّ إلى قلبه: خدمة الكاهن في الصّلوات الكَنَسيّة، والذّهاب إلى المزارات والكنائس الصّغيرة الّتي كانت منتشرة في البرّيّة، للصّلاة ساعات طوال مُقَلِّدًا، ببراءة الأطفال، الآباء النُّسّاك. أمضى صِغَره وشبابه هكذا، عَشير القدّيسين حتّى بات أليفَ حضورهم وعجائبهم. إلفته هذه مع القدّيسين، ونَمَط عَيشِه الّذي لا يشبه عَيش أترابه، جَعلا أهل القرية يسمّونه «القدّيس الصّغير» و«ولد الله». لم يكُن في القَرية كاهن مُقيم، فكان أهل القرية يلجأون إلى «القدّيس الصّغير» ليصلّي من أجلهم في الأمراض والضّيقات. كان يعقوب الصّغير يتلو من أجلهم الصلاة الربيّة، وغيرها من الصّلوات التي كان يحفظها، بعفويّة وبساطة واتّضاع، وكانت صلواته تُستَجاب فورًا.

بعدما أنهى تعليمه الابتدائيّ، صار يعقوب يرافق والده إلى وِرَش البناء حتّى أتقن المهنة التي لم ترهقه أتعابها رغم هزالة جسده. في سنّ العشرين، سمعه متروبوليت

المنطقة يرتّل مرّة في الكنيسة فأُعجب بصفاء صوته وعذوبة ترتيله وسامَه قارئًا. أصبح يعقوب يتشدّد أكثر في أصوامه وصلواته، إذ لم يعتبر أنّه أهلٌ لرتبة القارئ. بَقي على هذه الحال حتّى ذهابه إلى الخدمة العسكريّة سنة ١٩٤٧. كان رفقاؤه هناك يسمّونه تهكُّمًا «أبونا يعقوب»، أمّا رئيسه وبعض الآخرين فكانوا يعاملونه بتقدير واحترام، ولعلّهم تحسّسوا فيه كِبَر قامته الرّوحيّة. أنهى خدمته العسكريّة سنة ١٩٤٩ وفي السّنة نفسها رقد والده. راح يهتمّ بشقيقته، عملاً بوصيّة والدته حتّى تزوّجت فصار حُرًّا لينطلق إلى الرّهبنة، غاية مُناه منذ الصِّغَر.

قُبِلَ يعقوب سنة ١٩٥٢ كراهب في دير البار داود (١ تشرين الثّاني) في إيفيا. سيم كاهنًا في منطقة خالكيذا في ١٩ كانون الثّاني من السّنة نفسها. صار جهاد الرّاهب المُتَقَدِّس في الدّير مُضاعفًا، وكان يصعد إلى المغارة الّتي نسك فيها البارّ داود ليصلّي ساعات طوال. كانت جهاداته وصلواته تزداد ومعها كانت تزداد نِعَم الله عليه، بما فيها الرؤى الإلهيّة وظهورات القديسين والعجائب. طبعًا، إزدادت عليه أيضًا هَجمات الشيطان بِحِيَل وأشكال متنوّعة. غالبًا ما كان الشّيخ يعقوب يرى ويُحادث البارّ يعقوب مؤسّس ديره، والبارّ يوحنّا الرّوسيّ الذي كان يكنّ له الشّيخ يعقوب إكرامًا خاصًّا. كانت معاينته الملائكة يَمجّدون الحمل الذّبيح شبه دائمة في خدمته القُدّاس الإلهيّ، وقد شهد كثيرون كيف كان يتألّق بالنّور وهو يخدم الأسرار الإلهيّة. إختاره آباء الدّير رئيسًا عليهم في الخامس والعشرين من حَزيران ١٩٧٥، وبقي حاملاً هذا الصّليب بِبَذلٍ واتّضاع كُلّيين حتّى رقاده في ٢١ تشرين الثّاني ١٩٩١.

كان الشّيخ يعقوب يردّد دائمًا: «كيف يمكننا أن نحبّ الله، إن لم نحبّ حتّى الموت هؤلاء الّذين أحبَّهم الله حتّى الموت؟». كان كلّ قاصديه يرون، بأعيُنهم وبقلوبهم، كيف كان يعتنق آلامهم وأحزانهم كأنّها في جسده وروحه. كان يستمع إليهم ويُعَزِّفهم ويرشدهم ويصلّي من أجلهم، ويشفي أمراض النّفوس والأجساد ويَرُدّ الضّالّين ويُحرّر الممسوسين من الشّيطان. عجائبه، في حياته وبعد رقاده، كثيرة جدًّا. كان الملتجئون إليه يشتَمّون فيه «رائحة المسيح الزكيّة لله» (٢ كو ٢: ١٥)، أمّا هو فلم يَكُن ينسب شيئًا لنفسه بل لله وقدّيسيه. لم يَكُن البارّ يعقوب مُتعلّمًا أو لاهوتيًّا أديباً إذ لم يتجاوز مرحلة التّعليم الإبتدائيّ. كان مُظَلّلاً بنعمة الرّوح القدس الّتي جعلت صيّادي الجليل البُسطاء رُسُلاً ألهبوا الأرض ببشارة الخلاص. حمل إلى الملتجئين إليه، وإلى الّذين كان يخرج لرعايتهم في القرى المُجاورة والنّواحي المُحيطة، السّلام والفَرَح والتّعزيات وغيرها من ثمار الرّوح القُدُس. عندما كان يُرشِد ويعرِّف ويعظ، كانت كلماته دائمًا بسيطة وعَذبة ومجبولة بالمحبّة حتّى عندما كان يُضطرُّ إلى شيء من الصّرامة والتّأنيب، فأتت هذه الكلمات شافية الأمراض وقاهرة الشّياطين، وأتت صلاته أمام العرش الإلهيّ بخورًا عذبًا مقبولاً على الدّوام. فبشفاعاته اللهمّ احفظنا وخلّصنا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

دوماً مع الجميع طريق الخداع، وكنت أظهر أكاذيبي في ثوب الحق للناس جميعاً. لم يكذّبني أحد، بل كان الجميع يثقون بأقوالي. فكيف يمكنني أن أعيش يا سيدي، بعد كل هذه المعاصي؟» فقال: «أنت تفكّر تفكيراً سليماً، لأنه كان من واجبك، بصفتك خادم الله، أن تسلك في الحق وألاّ تُسكن فيك ضميراً رديئاً إلى جانب روح الحق فتُحزِن هذا الروح المبجّل الصادق».

قلت: «لم يسبق، يا سيدي، أن حدّثني أحد عن هذه القوانين الدقيقة». فقال: «أنت تسمعها الآن فاعمل بها. ولا تختلق الأكاذيب كما كنت تفعل سابقاً لئلا يصدّقها الناس. فإذا عملت بهذه التعاليم ولم تعد تقول منذ الآن غير الحق، فأنت تنال الحياة. ومَن يعمل بهذه الوصية وينهى عن الكذب، هذه الرذيلة العظمى، فهو يعيش لأجل الرب».